السُّخريَةُ في شِعر ابن عُنَين الدِّمشقيِّ(ت٦٣٠هـ)

"دِرَاسَةٌ تَحليلِّيةٌ"

دكتور / يُوسُفُ عبَّاس علي حُسَين

مدرس الأدب العربي القديم بقسم اللغة العربية– كلية الألسن بالأقصر – جامعة جنوب الوادي

ملخص

السخرية في شعر ابنُ عُنين الدمشقيُّ (٥٤٩–٦٣٠هـ)"دراسة تحليلية "

عرف العصر الأيوبي ابن عنين الدمشقي شاعرا، نبغ في الشعر وهو ابن ست عشرة سنة، من أئمة العلم والأدب، ملما بفروع الثقافة الإسلامية، وقف موقف الناقد المشنع العابث الساخر، يغمز الدولة والقائمين عليها، لم يسلم من لسانه أحد حتى وصلت به الجرأة مبلغا بعيدا، فعرَض بصلاح الدين، وكان كثير التنقل و الترحال بين البلدان، فطاف كثيرا من البلاد.

استخدم الشاعر السخرية لمقاومة الجور والظلم، حيث إنها تعد نوعا من التمرد على الظلم، فبلغ بشعره شأنا مميزا، وترك في شعره أثرا واضحا جليا، فنوع في سخريته ما بين الأحداث اليومية المليئة بالمفارقات المضحكة والعيوب الجسدية واللغوية ونُظم الحُكم الفاسدة مما جعله يلجأ إلى التعريض بأسلوب ساخر، فكان خفيف الروح كثير الدعابة بارع الفكاهة حاضر النكتة ظريفا ماجنا ساخرا متهكما يؤثر الهزل على الجد، متوقد الذهن ذكي القلب، تعجبه النكتة ولو كان فيها حتفه، فسخرمن علية القوم وصدورهم، فهو أشبه الناس بأبي نواس في مجونه، وابن حجاج في هزله، والجاحظ في تهكمه واستخفافه بما درج عليه من رسوم المجاملة. أحب شئ إليه أن يستهزئ بذوي الهيئات والوقار والتزمت من القضاء والفقهاء والمحدثين والخطباء والواعظين ،ولقد ألح عليهم بالتهكم والسخرية حتى رموه بسوء الاعتقاد والزندقة، وقالوا سب الأنبياء وتهاون بالصلاة، وجاهر بشرب الخمر [١]

أما الحديث عن السخرية عند شاعرنا، فهو ينم عن ألم دفين ألم به مما كان دافعا قويا وراء السخرية، فيحول الأديب أو الشاعر الألم إلى أمل والترح إلى فرح، مستخدما الهجاء، لأنه يعدُ فنا أصيلا في حياة الشعر العربي، فهى من أشد الأساليب سلاحا ضد المسخور منه، فالشاعر يبحث عن حقائق لكي يدين خصمه، فنلاحظ الصدق في السخرية، مما يعد ركيزة قوية من نجاح

(١)ديوان ابن عنين – تحقيق خليل مردم بك – ط(٢)– دار صادر – بيروت –سنة ١٩٥٩م /مقدمة المحقق.

الشاعر في النيل من المهجو، ولكن الفرق بين السخرية والهجاء في أن " الهجاء طريقة مباشرة في الهجوم على العدو، ولكن السخرية طريقة غير مباشرة في الهجوم"[٢]

ويهدف البحث لدراسة السخرية عند شاعر من شعراء العصر الأيوبي لم يسلم من لسانه أحد حتى رأس الدولة، والبيئة الثقافية والعلمية لهذا الشاعر، والسخرية وموضوعاتها وأسلوب الشاعر في شعره الساخر

واستخدم الباحث المنهج النفسي في بحثه، إذ هو في رأيي من أنسب المناهج للبحث، حيث يكشف غوامض وخبايا العمل وصاحبه، وتفسيره من كل جوانبه وحل مشكلاته وتناقضه.

وقد فرضت طبيعة الدراسة على الباحث أن تكون في مقدمة وخمسة محاور وخاتمة، تناولت في المقدمة توطئة عن الموضوع والمنهج المتبع في الدراسةوالهيكل التنظيمي للبحث، وخمسة محاور، هى:

-ابن عنين أديبا: اسمه وحياته ونسبه —بيئته العلمية والثقافية

-السخرية

- السخرية من علية القوم ورجال الدين والسياسة

-السخرية من مظاهر الخلل في المجتمع.

-أسلوب ابن عنين الدمشقي في شعره الساخر.

- الخاتمة

- المصادر والمراجع

(2) السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري – نعمان محمد أمين طه – ط(١)-دار التوفيقية للطباعة – القاهرة – سنة ١٩٧٨م /ص١٧.

Ibn 'Anin al-Dimashqi(549-630 AH.)

The Ayyubid era knewIbn 'Anin al-Dimashqi as a poet, he exceled in poetry when he was sixteen, one of the leadersin science and literature;Familiar with the branches of Islamic culture, but he took the attitude of hasty, frivolous and abuser critics, innuendo the state and its rulers, no one survived from his tongue even his audacity reached far away. He exposed Salah El-Dein, and travels a lot among countries.

The poet used irony for resisting injustice and oppression,It is a kind of rebellion against injustice, His poetryhas a special affair and left a great effect. He gave a variety among daily events that filled with ridiculous paradoxes, physical and linguistic defects and corrupt regimes so that he resorted to exposure sarcastically. He was funny and has a lot of humor, laughable, comic, prefer humor on the seriousness, sharp-witted and intelligent, He liked humor even if it leading him to death. He looks likeAbu Nawas in his buffoonery and Ibnhajaj in his sense of humor, Al- jahez in his cynicism and his disregard of the courtesy. He was passionately fond oftrifling with owners of dignity; he was bigoted of the judiciary, scholars, modernists and preachers. In addition he increased in ridicule and mockery; even they accused him of bad faith and heresy. They said that he

insulted the Prophets and neglected praying, and called for drinking alcohol.

The irony of our poet is considered as a sign of deep pain, this pain was a strong motive behind that behaves. So the poet transforms pain into gain and sadness into happiness, by using satire, because it is considered as an original art in the life of Arabic poetry. It is one of the most powerful methods against whom ridiculed; the poet seeks on facts to condemn his opponent. Thus we can note honesty in irony poetry. This is a strong pillar of the poet's success in defeating his opposition. But the difference between irony and satire is that: Irony is a direct way to attack the enemy but satire is indirect way.

The research aims to study the satire of a poet of the Ayyubidera; no one survived from his tongue even the head of the state, alsothe cultural and scientific environment of this poet, and the themes of satire and the style of the poet in his sarcastic poetry. The researcher used, in this research, psychological method, which, in my opinion, is the most appropriate curriculum for this research.

The nature of the study required the researcher to include an introduction, five sections and conclusion. The introduction deals with preface of the topic and the methodology that is used in the study and the organizational structure of the research. Five sections are:

- Ibn 'Anin al-Dimashqi, name, life, ancestry and his scientific and cultural environment.
- Satire
- The irony of the people of religion, politicians and elite
- Irony of the imbalance appearance in society.
- Style of Ibn 'Anin al-Dimashqi in his poetry.
- Conclusion
- References and bibliography.

المُقدِّمَـــــــــةُ:

ابن عنين الدمشقي أديبا

اسمه ونسبه وحياته:

أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن عنين الأنصاري، الملقب شرف الدين، الكوفي الأصل الدمشقي المولد الشاعر المشهور، كان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله، ولا كان في أواخر عصره من يقاس به، ولم يكن شعره مع جودته مقصورا على أسلوب واحد بل تفنن فيه، وكان غزير المادة من الأدب مطلعا على معظم أشعار العرب،...كان مولعا بالهجاء وثلب أعراض الناس، وله قصيدة طويلة جمع فيهاخلقا من رؤساء دمشق سماها "مقراض الأعراض" .وكان السلطان صلاح الدين (ت ٥٨٩هـ) قد نفاه من دمشق بسبب وقوعه في الناس"[٣]

أما الحديث عن نسبه فـ"يرجع نسبه إلى الأنصار ، نزل أجداده الأولون الكوفة ،وتركتها أسرته إلى زرع في حوران بالشام .وهاجر منها أحد أجدادهالأقربين واستقر في دمشق ، ...وكان منزله جنوب الجامع الأموي، فبعد أن حفظ القرآن أخذ يختلف إلى شيوخه وفي مقدمتهم الحافظ أبو القاسم بن عساكر(ت٥٧١هـ) وكان فطنا ذكيا وسرعان ما جرى الشعر على لسانه وهو في السادسة عشرة من عمره "[٤]. ونشأ في أسرة فقيرة كأبناء الطبقات الفقيرة "فقضى طفولته وصباه وشطرا في دمشق، ومنذ نعومة أظفاره اختلف إلى حلقات العلم في المساجد والمدارس، حيث كان العلم متاح للجميع، لأبناء الفقراء والأغنياء"[٥]

ويقول ابن خلكان عنه: "كان وافر الحرمة عند الملوك ،وتولى الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر ابن المعظم ،وانفصل عنها لما ملكها الملك الأشرف وأقام في بيته ، ولم يباشر بعدها خدمة. وكانت ولادته بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنةتسع وأربعين وخمسمائة وتوفى عشية نهار الاثنين لعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وستمائة بدمشق أيضا، ودفن من الغد بمسجده الذي أنشأه بأرض المزة وهى – بكسر الميم وتشديد الزاي- قرية على باب دمشق، قال ابن الدبيثي: سمعته يقول: إن أصلنا من الكوفة من موضع يعرف بمسجد بني النجار ، ونحن من الأنصار "[٦]

وكان كثير السخرية، وربما يرجع ذلك إلى أنه:"نشأ في أسرة متواضعة ، وأن أباه لم ينشئه على حب الخير والشعور بالمروءة والكرامة والرغبة في التسامي وطلب المعالي، وقد صرح بذلك في شعره قائلا:

وجنبّنـــــي أَن أفعـــــلَ الخـــيرَ والـــدٌ ضئيـــــلُ إذا مـــا عُـــــدَّ أهلُ المناسبِ

بَعيـــــدٌ عَـــــنِ الحُسنـــى قريبٌ مِنَ الخَنا وَضيـــــعٌ مَســـــاعي الخَـــــيرِ جمُّ المعَايبِ

ويبدو أنه أراد بسخريتهبالناس الانتقام لضعة أسرته وأبيه، ومن العجب أن صلاح الدين الأيوبي البطل المغوار الذي أذل حملة الصليب ودفع جموعهم إلى البحر المتوسط، وما وراءه واستولى على بيت المقدس المعظم منهم وغيره. هذا البطل الذي احتل السويداء من أفئدة المسلمين حين استولى على دمشق وابن عنين في العشرين من عمره لم يبادر إلى مدحه، بل على العكس عمد إلى هجائه هجاء مقذعا هو ووزيره القاضي الفاضل وكاتبه عماد الدين الأصبهاني وغيرهما من كبار حاشيته ورجاله "[٧].

وكان الهدف من الهجاء عنده السخرية، حيث إنه كان "يستهزئ بذوي الهيئات والوقار والتزمت من القضاء، والفقهاء والمحدثين والخطباء والواعظين، وقد ألح عليهم بالتهكم والسخرية حتى رموه بسوء الاعتقاد"[٨]

وقد نوهت المصادر والمراجع بسعة ثقافته ، فتلقى العلم على يد كبار علماء دمشق " الذين يلقون دروسهم بجامعها ...ونال حظا وافرا من علوم الثقافة في عصره: من تفسير، ومنطق، وحساب، وهندسة... وقد هيأته هذه الثقافة الواسعة مع ما أوتيه من استعداد فطري قوي،لأن يصل إلى درجة كبيرة من إتقان الشعر، تضعه في مصاف كبار الشعراء"[٩]

و"كان يتصدر بالجامع لإقراء النحو، هو أبو الثناء محمود بن نعمة بن أرسلان الشيرازي قرأ عليه الأدب وبرع في النحو، وكان الحافظ الكبير أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر يدرس بالمقصورة الغربية في الجامع، فسمع منه ابن عنين واشتغل بطرف من الفقه إلى قطب الدين

النيسابوري رئيس الشافعية بالزاوية الغربية من الجامع أيضا، وعلي كمال الدين الشهر زوري قاضي قضاة دمشق، ورحل إلى بغداد وسمع من وجهر بن تركانشاه راوي مقامات الحريري.

وابتدأ يقول الشعر سنة خمس وستين وخمسمائة، وهو ابن ست عشرة سنة .وكان ذلك في عهد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي "[١٠]

وكان لا يتقرب من ذوي السلطان "فقد روي عنه أنه كان يحفظ كتاب الحماسة لأبي تمام الطائي، ويتمثل بالشعر ويجيز الشعراء.يشهد ابن عنين الشاعر الفتى يومئذ قيام الدولة الصلاحية في دمشق ،فلا يحاول التقرب من السلطان ولا من رجال دولته أو المقربين إليه، بل يقف موقف الناقد المشنع العابث الساخر، يغمز الدولة والقائمين عليها من وزراء وقواد وقضاة، كما يغمز علماء دمشق ورؤساءها وأعيانها"[١١]

"ويختارالله إلى جواره نور الدين سنة (٥٦٩هـ)وابن عنين في ريعان الشباب ، ولا تستقيم أمور الملك الصالحابن نور الدين في دمشق ،فيخرج منها إلى حلب سنة (٥٧٠هـ)ويستولي على دمشق،والسلطان صلاح الدين، والملكان العظيمان نور الدين وصلاح الدين يتشابهان في الاستقامةوالعدل والحزم،ولكن صلاح الدين أكثر تذوقا للأدب وألين حجابالشعراء ...وأخذ الموفق بن المطران أحد المقربين من السلطان المعروفين بدماثة الخلق ولين الجانب، وأحد من هجاهم ابن عنين، وسخر منهم أخذ يحرض السلطان على نفيه حتى أمر بإخراجه من دمشق إلى حيث يشاء من البلاد، فخرج منها رافعا صوته...وطاف البلاد من الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وغزنة...، وكان يتردد بين اليمن ومصر لتثمير ماله على سبيل التجارة، ثم ترك اليمن ورجع على طريق الحجاز... وربما كانت مدة غربتهفي دمشق عشرين سنة أو تزيد"[١٢]

وإذا تطرقنا إلى حياته العائلية فلم تذكر لنا المصادرشيئا عن ذلك لأن "ليس في أخباره أو شعره ما يدل على أنه أعقب أولادا أو تزوج، فقصائده التي قالها في غربته يتشوق إلى دمشق وأهله وأصحابه، لم يرد بهاذكر ولد أو زوج له، وهما في هذا المقام أجدر بالذكر من كل ما يحن إليه الغريب، ولم يروا أنه كان معه في غربته أحد من أولاده"[١٣].

وكان كثير التنقل والترحل، فبعد أن نفيه صلاح الدين "خرج من دمشق ومضى يطوف البلاد: من الشام، والعرق، الجزيرة، وأذربيجان، وخراسان وغزنة، وخوارزم، وماوراء النهر والهند،

ويظهر أنه لم يطب له المقام في أي بلد من هذه البلاد. ذم إقامته في دمشق، وسخر من أحكام الخليفة وقضاته"[١٤]

ومر ابن عنين في حياته بـ" أطوار عدة أولها المرحلة الشامية الأولى. ويلاحظ أن ابن عنين في هذه المرحلة قد استنكف عن قول الشعر في دولة نور الدين مادحا وهجاء، مع أنه عندما توفى نور الدين كان يبلغ من العمر حوالي عشرين عاما، وبدأ قول الشعر وهو في سن السادسة عشرة"[١٥]

وتولى ابن عنين الوزارة، وامتدت وزارته " مدة ولاية الملك الناصر بن المعظم، ولكنه انفصل عنها لما تولى الحكم الملك الأشرف موسى سنة ٦٢٦م، وكان عمر الشاعر سبعة وسبعين عاما "[١٦]

آثاره الأدبية:

لقد خلف لنا ابن عنين الدمشقي آثارا أدبية منها:

-ديوان شعرمطبوع ،ولم يجمع ابن عنين ديوانه إبان حياته، فقال ابن الدبيثي: "قدم ابن عنين إلى بغداد واردا صادرا غير مرة ، ولقيته بها ، وكتبت عنه شيئا من شعره بالجهد، لأنه كان ضنينابه"[١٧]

كما قال ابن خلكان: "لم يكن له غرض في جمع شعره ، فلذلك لم يدونه ، فهو يوجد مقاطيع في أيدي الناس، وقدجمع له بعض أهل دمشق ديوانا صغيرا لايبلغ عُشر ما له من النظم "[١٨]

وبعد وفاة ابن عنين بثماني سنوات قام محمد بن المسيب بن نبهان بن محمد الدمشقي بجمع الديوان، وقام كل من: خليل مردم بك بتحقيق الديوان، ونشره لأول مرة في عام ١٩٤٦م، والعلامة عبد العزيز الميمني قام بتحقيق الديوان مرة أخرى عام ١٩٥٩م "[١٩]

كما أن من آثاره الأدبية :كتاب "التاريخ العزيزي في سيرة الملك العزيز عثمان، وكتاب " مختصر الجمهرة لابن دريد"[٢٠]

بيئته العلميـــة والثقافيـة:

لقدشهدالقرن السادس الهجري تطورا علميا كبيرا، فـ " شاركت الأسرة الأيوبية في إغناء المكتبة العربية ،ويمكن أن نقسم ذلك إلى قسمين:

الأول: دفعهم العلماء والأدباء إلى التأليف وتشجيعهم في ذلك.

الثاني :مباشرتهم بتأليف الكتب بأنفسهم.

فما من أمير أو ملك محب للعلم والأدب إلا واجتمع العلماء والأدباء حوله، وألفوا له الكتب فيما يحب من فروع العلم والأدب. وكانت حقبة بني أيوب في بلاد الشام ومصر من أخصب الحقب في التأليف والتصنيف ،وكان ملوكها يتفاخرون بتقريب العلماء والأدباء وتأليف الكتب بأسمائهم"(٢١)

كما ظهرت النهضة الثقافية لهذا العصر" في عدة صور منها كثرة إنشاء المدارس التي لم تقتصر على التعليم العام بمختلف فروعه اللغوية والأدبية والعلمية، بل تجاوزته إلى التخصص، فظهرت مدارس للحديث النبوي ...وقد ألحق بالمدارس عدد من المكتبات العامة، بالإضافة إلى المساجد التي تُعقد في زواياها الحلقات الدينية والعلمية باستمرار، فكثر العلماء وتزايد عدد الطلاب، وأُلفت العديد من الكتب والموسوعات والشروح والمختصرات في شتى ميادين العلم والمعرفة "(٢٢)

كما " أحب بنو أيوب رجال العلم والأدب وقربوهم، وعقدوا لهم المجالس واستأنسوا بأحاديثهم ومناقشاتهم "(٢٣)

وغير خافٍ أن الحياة العلمية وجدت اهتماما كبيرامن بني أيوب، حيث إن الحياة العلمية "تمثل مظهرا أساسيامن مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، ويعد دورها الأبرز في الربط بين الخصوصيات الثقافية بين الأمصار بغية تشكيل لخدمة المجتمع الواحد، وقد كانت الرحلات الخاصة بطلب العلم والاستزادة منه تشكل جانبا كبيرا من جوانب الحياة الثقافية العامة، فجاءت على صورة رحلات دراسية بهدف أصحابها إلى لقاء المشايخ الكبار والأخذ عنهم، والرجوع بالإجازات التي تخولهم رواية الحديث النبوي الشريف، ومختلف فروع العلوم العربية الإسلامية "(٢٤)

وكان للشعر دور مهم في أحداث العصر "كان ترجمانا لما دار فيه ولم يقتصر الشعر على طبقة الشعراء المحترفين من مداحي الملوك والسلاطين والأمراء، بل إن كثيرا من الناس قد تعلقوا به وصار لهم هواية محببة يلجأون إليه فيودعونه ما يريدون التعبير عنه من مكنونات نفوسهم، أو يتبادلون به التهاني والرسائل أو يتخذونه وسيلة للتسلية والمتعة في مجالسهم وأسمارهم "[٢٥]

أما الشعراء في العصر الأيوبي كانوا موزعين مثلما كان في العصر الفاطمي، فيقول محمد كامل حسين:"أن الشعراء كانوا موزعين بين اتجاهات فنية مختلفة، وكل جماعة اتخذوا مذهبا في الفن يختلف عن مذهب الجماعة الأخرى"[٢٦]

واهتمت الدولة الأيوبيةبالعلماء لما لهم من دور كبير في محاربة المفاسد في تلك الحقبة ومحاربة الصليبيين، حيث بادر فقهاء وعلماء وقضاة الشام في لعب "دور مهم في الصراع الإسلامي الصليبي في الفترة (٤٩١-٦٩٠هـ)حيث كان لهم دور فاعل في المقاومة ضد الغزو الصليبي "[٢٧]

وعلى الرغم من انشغال حكام الدولة الأيوبية بالحروب الصليبية لكن لا يشغلهم عن قيامهم بالدور البناء في تأسيس المدارس "ويظل الشام لواء الزنكيين عماد الدين ونور الدين محمود وخليفته صلاح الدين ثم الأيوبيين، وتتنفس الصعداء، فبالرغم من أن هؤلاء الحكام كانوا في شغل مستمر بحروب حملة الصليب وهدم قلاعهم وحصونهم كانوا يبنون ويؤسسون لفقهاء المذاهب الأربعة، ومضى على منوالهم المماليك بحيث تزدهر في الشام نهضة علمية رائعة"[٢٨]

كما اهتموا بالمكتبات و"إن الاهتمام بالمكتبات دليل على الاهتمام بالعلم والاهتمام بالعلم دليل على رقي الأمة وتقدمها. ولم تكن غاية أبناء أيوب من اقتناء الكتب المباهاة بل الإفادة منها وتصنيف الكتب "[٢٩]

وأقيمت المحافل الأدبية حيث "إن المحافل لهى منتديات أدبية وعلمية تدار فيها الأحاديث حسب المقام الذي يتطلبه ذلك المجلس، وكثيراما كان الملك يتصدر المجلس ويطلب القول في أمر معين يروق له السماع فيه، أو مشكلة يريد لهاحلا"[٣٠]

أما الحياة الثقافية في عصر بني أيوب ازدهرت "ازدهاراعظيما في بلاد الشام، ولقد عهد عن الناصر صلاح الدين – مؤسس الدولة الأيوبية– حبه الشديد للعلوم الشرعية، وميله إلى

حفظ القرآن الكريم وسماع الحديث الشريف، ودراسته له في خلواته، فضلا عن مجالسته العلماء والفقهاء. وسار خلفاؤه على نهجه في إكرامهم العلماء والفضلاء والأدباء"[٣١].

فلا ينكر أحد الدور الكبير الذي قام به بنو أيوب في نهضة الحركة العلمية والثقافية " فإن بلاد الشام ما كانت لتصل إلى هذا الحدمن النضوج الفكري، والشمولية المعرفية، لولا اهتمام السلاطين الأيوبيين ومواكبتهم الحركة الفكرية، وتشجيعهم على البحث والتأليف، ومن الجدير بالذكر أن ظاهرة التخصص في التأليف كانت واضحة عند بعضهم، ولكن الكثير منهم قد جمع أصول المعرفة في شتى العلوم وعناصرها الثقافية، كالوزير القفطي، والصاحب ابن العديم، وأبي شامة المقدسي، وغيرهم "[٣٢]

وجملة القول أن المحرك الحقيقي للفكر والثقافة في هذا العصر "هو المذهب العقائدي، حيث شهد تحولا خطيرا من المذهب الفاطمي الشيعي، إلى المذهب السني الشافعي، ولم يكن التشيع في مصر ذا فلسفة خاصة معقدة، فعلى الرغم من اعتناق عدد كبير من المصريين هذا المذهب في العصر الفاطمي، وانشغالهم بعقائدهم "[٣٣]

السخريـــــــــــــة:

غير خافٍ علينا أن السخرية تعدُ سلاحا من أسلحة الحرب النفسية يوجهه الساخر نحو الشخص الذي يسخر منه أو الموضوع الذي يوجه إليه السخرية، فهذا السلاح لا يتصور إلا في مواقف الخصومة والعداء[٣٤]

فالسخرية ليست هى النكتة أو التهكم أو الهجاء، وإنما هى أسمى من ذلك جميعا، فهى " رد الإنسان الأعظم على معاكسة القدر، وظلم الدهر وقسوة الطبيعة أو عيوب المجتمع، ونقائض الناس، وهو يسخر من هذه جميعا، ولا يسبها ولا يحقد عليها بل يتأملها بهدوء ويبصر سخافتها وتناقضها وتفاهتها وصغرها، فيعلو عليها جميعا ويتحدث عنها بابتسامة هادئة جميلة مستخفة هازئة "[٣٥]

فالشاعر يسخر من الطبيعة " ويركض في حلبة يتقابل عند طرفيها الواقع من ناحية ومثل الكمال من ناحية أخرى. وقد يفعل ذلك جادا أو متفكها مداعبا، أي أنه قد يستوحي إرادته

ومشاعره أو يستملي عقله. فإن كانت الأولى فهو هاج منتقم، وإن كانت الثانية فهو ساخر يركب ما بدا له بالدعابة "[٣٦]

فعند الحديث عن السخريةالمرافقة للأدب "فإننا نتحدث عن ما يثير حساسية الطبقة الناقدة الذكية في المجتمع، حيث يقوم الكاتب المتمرس بتفريغ ما أثار حفيظته ضمن قالب، يأمل أن يصل من خلاله إلى المجتمع، فالسخرية تحذير اجتماعي، نأمل من خلاله أن يعود المجتمع إلى ما يجعله مرنا وفاضلا إذيمكن القول أن السخرية يجب أن تمتلك القدرة على استحواذ الإقناع، وذلك حتى تستطيع أن تؤدي دورها على أتم وجه"[٣٧]

وتقوم السخرية بدور فعال، فهى تعمل على التنفيس عن الطاقات، ونقد المؤسسات الاجتماعية والسياسية ...الخ[٣٨]

و"لقد كان الحمقى والمتحامقون والمضحكون والمهرجون موجودين دائمافي كل مكان عبر التاريخينشرون الفرح حتى لو كانت أعماقهم خارقة في الأحزان، وبقدرتهم على الإضحاك، ومن خلال الأقوال والأفعال والمدهشة، والمتناقضة، وغير المتوقعة، وغير المألوفة...كان لهم حضورهم الدائم في كل مكان، إنهم بشر، بطبيعة الحال"[٣٩]

والسخرية في صياغتها تحتاج إلى الكثير من البراعة والمهارة، لأن الصياغة أهم عنصر في السخرية وفي أنواع الفكاهة عامة، بحيث نجد أن كثيرا من الفكاهات ذات التأثير القوي يمكن أن تفقد تأثيرها إذا صيغت بأسلوب آخر، ويتضح من ذلك أن تأثير السخرية يكمن أهمية في التصوير، وهذه المقدرة على التصوير تحتاج إلى براعة وقدرة لاتتوافر إلا للقليل، وقد أكد الجاحظ على أهمية الصياغة بالنسبة للفكاهة وأن أي تغيير يفقدها روحها وتأثيرها، فيقول الجاحظ: "ومتى سمعت – حفظك الله –بنادرة من كلام الأعراب، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابهاومخارج ألفاظها، فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير، وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، وملحة من ملح الحشوة والطعام، فإياك وإن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظا حسنا، أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له، ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها.

ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب، والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم"[٤٠]

وتنقسم موضوعات السخرية عند ابن عنين الدمشقي إلى:

-السخرية من رجال الدين والسياسة والعلم والأدب والقضاة:

يرجع الحديث عن أسباب السخرية عند ابن عنين إلى إهمال نور الدين للشعراء فـ" كان من أشد العوامل في توجيه ابن عنين في شعره، وصرفه إلى النقد والغمز واللمز، وتهيئته لأن يكون من كبار الهجائين المعدودين على استعداد فطري شديد ...يشهد ابن عنين الشاعر الفتى يومئذ قيام الدولة الصلاحية في دمشق، فلا يحاول التقرب من السلطان ولا من رجال دولته أو المقربين إليها، بل يقف موقف الناقد المشنع العابث الساخر، يغمز الدولةوالقائمين عليها من وزراء وقواد وقضاة، كما يغمز علماء دمشق ورؤساءها وأعيانها"[٤١]

وكان بجانب النقدعند ابن عنين الجانب الفكاهي الذي لايفارقه "والفكاهة لا تفارق ابن عنين في أقواله وأفعاله حتى عمل البر والإحسان والقربة إلى الله تعالى "[٤٢]

فارتفع صوت ابن عنين الدمشقي ضد رجال الدين والسياسة والعلم والأدب والقضاة، واتخذمن السخرية وسيلة من وسائل النقد والاصلاح، معتمدا على ما وجده من مساوئ وعيوب عند هؤلاء الناس، وكأنه أراد أن يبصر المجتمع بعيوبهم ، فاتخذ ابن عنين منحى فكاهيا قائما على التأمل لكشف الهنات والهفوات، فقال متجرأ على صلاح الدين الأيوبي، وصور دولته بأنها ليس فيها إلا كل ذي عاهة ومفسدة، قائلا:

قـد أصـبـحَ الـرزقُ مالَـه سـبَبُ فـي النـاسِ إلاَّ البِغـاءُ والكَـذِبُ

سلطـاننـا أعـرجٌ وكاتـبُـهُ " ذو عمَـشٍ والـوزيرُ مُنحـدِبُ

وصاحـبُ الأمـرِخلقُـهُ شَـرِسٌ وعـارضُ الجـيشِ داؤهُ عَجَبُ

يبيـــتُ مِـنْ حِكَّـــــةٍ تُـــــؤرّقُهُ فـــــيدبـرِه كالسَّـــعيـــرِ تَـــلتَهـبُ

وحاكـــــمُ المـــــسلمـــــينَ ليـــــسَلهُ فـــي غـــــير غُـــرمولِ أسودٍ أَربُ(٤٣)

غير خافٍ أن الشاعر تعرض في الأبيات السابقة للسلطان وكاتبه ووزيره، مما أدى لنفيه حفظا لهيبة الدولة.

ولم يكن الأمر مقصورا على حاشية صلاح الدين، وإنما وصل به الأمر إلى صلاح الدين نفسه ، وهو يمثل رأس الدولة، قائلا له:

لا كـــان يـــــــــومٌ بُـــــدِّلتْ فِيـــــهِا لكنـــــائسُ بالمســـاجدْ

لا تفـــرحـــــوا بفـــتوحِـــــكم هـــــذا فـــإنَّ الـــدهرَ راقـــدْ (٤٤)

وقد تميز بين شعراء الشام في عصره بقيام شعره على النظرة الساخرة ، فيقول ساخرا من ابن عساكر:

يـــا ابنَ العســـاكرِ إن صَـــــح انتِسَابُك ذَا فأنـــت مـــــن أمـــم صُورتَ مَـــسْبُوكًـا

يـــا ابـــنَ الـــدجاجةِ كـــلُّ النـــاسِ كان لها ديـــكًا فـــأنت ابـــنُ مَـــنْ حَتَـــى أُنَادِيكا(٤٥)

يسخر الشاعر في البيتين السابقين من ابن عساكر المحدث، واصفا إياه بأنه من طبقة لم تكن عالية، فلم يكن الشاعر يعرفه،لأنه مجهول بالنسبة له.

وشملت سخريته بعض الشخصيات، فاتهم أحد القضاة في دولة الملك المعظم عيسى بالميل إلى النساء، فكتب إليه ابن عنين سائقا الفكرة الساخرة في إطار من الفكاهة والتهكم:

أقـــولـــها لـــو بلـغتْ مـــا عسى فـــالطبلُلايُضـــرَبُ تحـــت الكُســـى

قاضيـــكَ إنْ لـــم تُقصِـــه فاخصِـه أَوْلا فـــلا يَحـكمُ بـــينَ النســـا (٤٦)

يطلب الشاعر في البيتين السابقين استبعاد هذا القاضي، لأنه يتهمه بحبه الشديد للنساء، وأن لم يستبعده فعليه إبعاده من حكمه بين النساء، كما أن ابن عنين كان في عداء مع القضاة، لأنهم كانوا السبب في خروجه الأول من دمشق على أيام صلاح الدين وبداية متاعبه وشتاته في بلاد الله (٤٧)

فقال يسخر من القاضي الشهروزي:

دخلـــتُ علـــى ابـــنِ الشهرزوريّ ليلةً وقـــد أُغلـــقتْ دون الـــوزيرِالمـــغالِقُ

فعـــايـــنتُه ولـــهانَ يرطـلُ فَيشـــةً ويُنشدُهـــا والخـــدُّ بالـــدمعِ غـارقُ

"ومـــاذا عســـى الواشون أن يتحدثوا ســـوى أن يقـــولوا إننـــي لك عاش"(٤٨)

يشير الشاعر في الأبيات السابقة إلى قول الشاعر الأموي جميل بن معمر، حيث إنه قدم لنا صورة تهكمية ساخرة، فجعل عورة الرجل بدلا من المحبوبة، لأنه اشتغل بالمساوئ تاركا أمور المسلمين، فأخذ من قول جميل بثينة:

"ومـــاذا عســـى الواشون أن يتحدثوا ســـوى أن يـــقولوا إننـــي لـــك عاشُ

نَعَـــمْ صـــدقَ الـــواشونَ أنـــت حبيبةٌ إلـــيَّ وإنْ لـــم تصـــفُ منـــكِ الخلائقُ"(٤٩)

ويذكر أن في هذا العصر تولى "عدد من القضاة الذين لم يتحروا العدل في أحكامهم، ومنهم ثلاثة مشهورون بالفسق والظلم وهم نجم بن الصدر سني الدولة، وكان حاكما جائرا فاجرا ظالما متعديا وابن الجمال المصري ولم تكن طريقته مستقيمة، والرفيع الجيلي الذي يفعل بالناس الأفاعيل"(٥٠)

فقد استخدم ابن عنين التضمين في شعره، حيث إنه اقتطع بعض الأبيات من قصيدة مشهورة لامرئ القيس، وبنى عليها معظم أبياته، فيقول في سخريته من المؤيد القلانسي والجمال بن مهدي الكاتب:

ولمَّـــا رأيـــنا المغربيَّ بـــخدمةِ الـــ (م) مـــؤيَّـدِ مـــثلَ الـراهـبِ المُـــتَبتِّـلِ

وأخلـــقَ فيـــها عمـــرَهُ فكـــأنَّـــهُ " قـــفا نبـــكِ مِـــن ذكـــرى حبيبٍ ومنزلِ "

سألنـــاهُ هـــلْ فـــي ظلهِ لـــكَ مرتعٌ " وهـــلْ عِـــند رســـمٍ دارسٍ مـــن معوَّلِ"(٥١)

لكن استطاع الشاعر من خلال الربط بين أبياته الشعرية والأشطر المضمنة ، أن يولد جمل شعرية مشحونة بطاقات دلالية

واستمع إلى خطبة للدولعي في المسجد الأموي بدمشق ، وقد أطال فيها ، فأتخذه هزوا ويكتب فيه ثلاثة أبيات ضمتها إشارات استهزائية مطبوعة على الصراحة المعنوية ، يقول فيها :

طَـــــوَّلتَ يـــا دولـــعي فقصّـــرْ وأَنـــــتَ فـــــي غيـــــرِ ذا مُقـصّرْ

خَطـــابـــةٌ كـــلّهُا خُـــطـــوبٌ وبـــعـــضُـها لـــلـــوَرى مُـــنَـفّـرْ

تَـــظـــلُّ تَـــهـــدي ولـــستَ تدري كـــأنَّـــك المَـــغْـــرِبي المُـــفسّرْ(٥٢)

اتسعت السخرية عند ابن عنين، فشملت الفقهاء والخطباء والأئمة في المساجد، فها هو ينتقد إمام المسجد بسبب إطالته في الصلاة، قائلا: إن خطبته كلها مصائب، وبعض الناس ينفر منها، ويقول واعظا الناس ولا يفعل.

ولم يسلم المتصوفة من النقد و السخرية، فركز على السخرية من بعض السلوكيات غير السوية، ساخرا من الملق الصوفي الذي حاد عن أصول التصوف، قائلا:

أُخـــــلـــقَ الشـــــعرَ مدلويهِ وأَهليـهِ وأَزرى الـــــمـــلـــقُ بـــالـــصوفيَّـهْ

حـــــادَ عـــــن الـــــمذهب التصوفِ إلاَّ كثـــــرةَ الأكـــــلِ فيـــــهِ والـــــلوطيَّهْ[٥٣]

وجاء من اليمن إلى مصرفطلبوا منه زكاة ما ورد معه، فقال يسخر من الملك العزيز صاحب مصر:

مـــــا كـــــلُّ مَـــــن يَتسمَّى بالعزيز لها أهـــــلٌ ولا كـــــلُ بـــــرقٍ سُحبُـــــهُ غَدِقَهْ

بيـــن الـــعزيزَيْنِ بَـــونٌ فـــي فِعـــالِهما هـــــذاكَ يُـــعطي وهـــــذا يـــأخذُالصـــدقهْ[٥٤]

وقال ساخرا من المرتضى بن عساكر وقد ضربه مملوكه مما أثر في لحيته، فأمتنع عن استقبال الناس، قائلا:

إلـــــى لـــحيةِ المـــرءِ اللعينِ ارتقتْ يدٌ لـــها فـــي صـــمود الحـــادثـــاتِ ســـعُودُ

وقـــــد أصـــبحتْ مثلَ القُرى اللائي أُهلِكَتْ قـــديمًا فـــمنها قائـــمٌ وحَصيـــــــدُ[٥٥]

سخر الشاعر في البيتين السابقين من المرتضى بن عساكر حينما ضربه مملوكه ،متأثرا بقوله تعالي: " ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد "[٥٦] وقال في صاحب الخزانة وخاطب بها الملك المعظم:

يا مـــليكَ الدنيا الـــذي أَعظمَ اللـــــ (م) ـــهُ بتـــأييـــدِ عـــزّهِ سُـــلطـــانَـهْ

أنـــا أَشـــكـــو إليـكَ جَـــــورَ رَقيـعٍ لقَّـــــبـــوهُ الصَّـــفعانَ تـــاجَالخـــــزانهْ

عـــدمَ العقلَ والمـــروءَةَوالإحـــــــ (م) ـــســـــانَ والـــــدينَ والحيـــاوالأمانهْ[٥٧]

نفى الشاعر في الأبيات السابقة كل صفة حسنة عن صاحب الخزانة ، وألصق الرذائل به ، وجرده من الأمانة والمروءة والإحسان ، ساخرا ممن يعتقد فيه هذه الصفات.

وسخرمن الأمير أرسلان بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة السورية ويري عنه بـ" حماته "أشكو إلى الله حماتي فما يعلم ما لاقيت منها سواه ، عجوز سوء لو رأت قودة من النسر طارت بجناحي قطاة ، تقول للبنت الطمي خده ولا تهابيه وصكي قفاه وليني بالمخ أخلاقه وضمخي لحيته من حراه وباهيته إن رأى ريبة وابكى وسبيه وسبي أباه .

أشكو إلى اللهِ حَماتي فما ... يعلمُ ما لاقيتُ منها سواهْ

عجوزُ سوءٍ لو رأتْ قودةً ... في النسر طارتْ بجناحيْ قطاهْ

تقولُ للبنتِالطمى خدَّهُ ... ولا تَهابيه وصُكّي قَفاهْ

ولَيّني بالمُخّ أَخلاقَهُ ... وضَمّخي لِحيتَهُ مِن حراهْ

وباهِيتهِ إنْ رأى رِيبَةً ... وابكى وسُبّيه وسُبّي أباهْ

واللهِ لا أُفلحُ ما عُمّرتْ ... قُلْ لي مَتى أَفلحَ صاحبُ حماهْ(٥٨)

ينتقد الشاعر صاحب حماة، طالبا من حماته أن تلين بالأخلاق مخه.

ونقل إليه أن الفقيه الإسكندراني يشرب الخمر خفية، فقال على لسان الملك المعظم عيسى نفسه، وحصانة ذوي الجاهات والعلماء، والهبوط بهذه الشخصيات عن مستوياتها الفكرية والاجتماعية قائلا:

اللهُ يعلم ما حلَّلتَ من دمِها ... وسفكهِ مستحلًا بعدما حَرُما

لكنْ رأيتَ ذوي الجاهات تشربها ... رِيًّا وتتعبُ في تحصيلِها العلما(٥٩)

يتضح من خلال البيتين السابقين أن أهل الجاه والسلطة يرتكبون عادة سيئة، وهى شربهم للخمر، فيعض بهم لكي يوجههم.

ولم يقف الشاعر في سخريته على طائفة معينة، وإنما تعدى إلى كل المهنين من الأطباء، حيث كان يمتهن هذه المهنة و يرتكب بعض الأخطاء الناتجة عن عدم معرفته، فقال ساخرا من الرجبي:

تَجَـــعْمُسٌ قَـــلَّ مَـــنْ يُنـــاظِرُهُ فـــي النـــاسِ إلاَّ تَعَنْفُـــقُ الرَّجْبـــي

المـــدَّعـــي أَنَّـــهُ بحـــكمتِه عَلَّـــمَ بقـــراطَ صنـــعةَ الطـــبِّ

وهـــو لَـــعمْري أَخـــسُّ منْ وطِئَ الُتـــر (م) بَ وأَوْلـــى باللـــعنِ والـــسَّـــبِ

ولـــو رأيـــتَ المِطوْاعَ ينظرُ في الـــ تشـــريحِ كيـــفَ الفَقـــارُ فيالصُلبِ[٦٠]

يخاطب الملك المعظم عيسى في شأن القائم على خزانة دولته، واصفا سلوكه المنحرف، من خيانة للأمانة ونهب الأموال قائلا:

يـــا ملـــيكَ الـــدنيا الذي أَعظمَ اللـــ (م) ـــهُ بتـــأييـــدِ عـــزّهِ سُلطـــانـــهْ

أنـــا أَشكـــو إليـــكَ جَـــورَ رَقيعٍ لقَّبـــوهُ الصَّـــفعـــانَ تـــاجَ الخزانـــةْ

عـــدمَ العقـــل والـــمـــروءةَوالإحـــ (م) ـــسانَ والـــديـــن والحيـــا والأمـــانـــةْ

وحَـــوى الـــلؤمَ والـــرقاعةَ والخِـــ (م) ـــسَّة والـــجـــهلَ والخَـــنا والـــخِيـــانةْ[٦١]

وقال لما فتح الملك الكامل محمد دمشق بعد الملك المعظم عيسى وأعطاها الملك الأشرف موسى:

وكنَّـــا نُـــرَجِّـــى بعـــد عيسـى محمدًا لِـيُنقذنَـــا مـــن لاعـــجِ الضُرِّ والبلوى

فـــأوقَعنا فـــي تيـــهِ موســـى فكلُّنـــا حيـــارى ولا مَـــنٌّ لـــديه ولا ســـلوى[٦٢]

وأصبح المشهد السياسي في بلاد الشام بعد وفاة صلاح الدين أرضا خصبة للسخرية عند ابن عنين ، حيث اشتد الصراع بين أبناء صلاح الدين حول السلطة، مما جعل ابن عنين ينشد البيتين السابقين فيهما قدر كبير من المرارة والأسى على ما آلت إليه الأمور، وقد وظف الشاعر قصة سيدنا موسى – عليه السلام – مع اليهود في قوله تعالى: "قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين "(٦٣)

ويشاهد فقيهين يتناظران ،أحدهما يلقب بالبغل، والآخر بالجاموس، فيوحي إليه المشهد برسم صورة لهما انتقل فيها من الواقع الحقيقي إلى الخيال القائم على التداعي المستمد من لقبيهما، ليحقق غرض التسلية والإضحاك، وذلك في قوله:

البغلُ والجاموسُ في جَدَلَيهما قد أصبحا مثلًا لكلِ مُناظر

بَرزا عشيَّةَ ليلةٍ فتناظَرا هذا بقرنَيه وذا بالحافر

ما أَحكما غيرَ الصياحِ كأنما لَقِنا جِدالَ المرتضى بنِ عساكر

جِلفانِ ما لهما شبيهٌ ثالثٌ إلاَّ رقاعةُمدلويهِ الشاعر (٦٤)

ولابن عنين مجالس كانت تضم مزيجا من أصحابه الذين كانت تغلب عليهم روح المداعبة مع حدة الطبع أحيانا ،مما يؤدي إلى إثارة القضايا الساخرة التي تعالج قضايا المجتمع عن طريق الإمتاع والمؤانسة، وحينما اجتمع مع أصحابه في خيمة بدمشق قال:

لا نَيْلُنا يُرجى ولا أضيافُنا تُقري ولانُدعي لدفعِ مَخوفِ

أما المُلقُّ كما علمتَ فنُسْكُهُ نَصْبٌ على زبديةٍ ورغيفِ

وفتى بَجيلةَ إن قَرا ما خَطَّهُ أبصرتَ منه غرائبَ التصحيفِ

ومهوَّسٍ بالكيمياءِ يُقطِّع الأ (م) وقاتَ بالآمالِ والتسويفِ

يَبـــــغي مـــــن الأبـــوالِ تـــبرًا خالـــصًا عقـــــلٌ لعَـــمرُ أبـــيكَ جِدُّ سخيـــفِ

وأنـــــا وشـــــعري كـــم يـــعنِّفني الـورى فـــــيهِ فـــــلا أُصـــغي إلـــى الـتعنيفِ[٦٥]

ونلاحظ غلبة روح الدعابة والفكاهة ، ولكنها تخفى وراءها إحساسا بالانقباض ، وسخرية بالقائمين على أمور العلم والثقافة، وحينما أحس ابن شيث بذلك، غضب عليه غضبا شديدا، وشقّ عليه أن يسخر ابن عنين منه، ولكن أتى الملك المعظم وأصلح بينهما.

ويرسم الشاعر صورا للمسخور منهم، متابعا لحركاتهم وسكناتهم ، وهيئاتهم ، كما في قوله في بدر الدين مودود شحنة والي دمشق، وقد أرسل إليه يطلبه جُبة:

جـــــاءَ الشـــتاءُ وَلَـــــيسَ عِندي جُبَّةٌ فَطَـــفقـــتُ أَطـــلُبُ دارَ بـــدرالـــدينِ

فتصـــــحَّفتْ لـــمّـــا قَـــراهـــا حَـــــبَّةً فَبَـــــدا يُـــــواصـــلُ زَفـــرةً بـــأنيـــنِ

وشكـــــا نِـــياطِ فـــــؤادِهِ وحـــــرارةً فـــــي قـــــلبهِ تُـــــربـــــي على سِجّينِ

وغـــــدتْ فـــــرائِصـــهُ تـــهـــزُّ كأنَّها سَـــعَـــفٌ عَـــرَتْـــهُ الـــريحُ في تشرينِ

يَنســـى فيسكـــنُ مـــابـــه وتَـــعودُه الـ (م) ـذكـــرى فـــيُصـــرَعُ صرعةَ المجنونِ[٦٦]

ونلاحظ أن الأبيات السابقة ترسم صورة ساخرة لشحنة دمشق، وقد خرج عن سكونه ووقاره عندما جاءته رقعة ابن عنين، وقد تآزرت فيها طائفة من الصور الحسية التي تصف حركته الجسمية، والخلجات النفسية التي مارت في نفسه، فاستطاع ابن عنين أن يلون الأبيات السابقة عن طريق اقتطاع بعض أعجاز الأبيات، ويضفي عليها أشياء جديدة من خلال السياق، وكأنه أراد في عدم حصوله على فروة من أصدقائه لا تقل عن مصيبة أبي ذؤيب الهذلي في أبنائه.

-السخرية من مظاهر الخلل في المجتمع

يعبر الإنسان الساخر عن رأي المجتمع وما فيه من مساوئ وتناقضات وعيوب ، ولا تكون غاية السخرية الفرد ذاته، وإنما يصبح الفرد وسيلة لمواجهة الظواهر السلبية ،في حين يرى عبد الحليم حفني في السخرية سلاحا اجتماعيا ، تحافظ به الجماعة على كيانها ومقوماتها[٦٧]، فيصفابن عنين الناس وهم يلهثون وراء القيم المادية ، قائلا :

يـــــامـــعـــشرَ الناسِ حالي بينكم عَجَـــبٌ ولـيـــــسَ لـــــي بيـــــنكم يـــــا قومُ أَنصارُ

هـــــذا ابـــنُ كـــامل قـــد أَودعتُـــهُ ذَهبًـــا صُيَّـــابـــةً مـــا لـــها فـــي العـينِ مقدارُ

وجئـــــتُ أَطـــلبُها مـــــنهُ وقـــــد عرضتْ فـــي الســـــوقِ منـــــي لُـــــبانات وأَوطارُ

فقـــــامَ ينـــفضُ كمْـــيَه ويـــنظرُ فـــــي صنـــــدوقـــهِ ويُنـــادي جَـرَّها الفـــــارُ[٦٨]

ويُظهر ابن عنين ظاهرة يبدو أنها استشرت في المجتمع ألا وهى سرقة الأموال العامة، واتهام القائمين عليها بنهبها.

وعندما يأمر المعظم عيسى بنزح ماء خندق القلعة بدمشق وقد أخذ من الناس جهدا عظيما، فيجف ويذهب من نحسه وشؤمه وقلة بركته، فهو رجل لا خير فيه، فيضحى البئر بعد ذلك مثل رأس الفقيه الدولعي إشارة إلى أن رأسه صلعاء بلا شعر فأتى ابن عنين واقترح عليه طريقة أخرى لنزحه، قائلا:

أَرِحْ مِـــن نـــزحِ مـــاء الـــبُرجِ يـــومًا فـــقـــد أَفـــضـــى إِلـــى تعـبٍ وعِـــي

مُـــرِ القـاضـــي بـوضعِ يديـــهِ فيـــــهِ وقـــــد أضـــحى كـــرأسِالـــدولعيّ[٦٩]

وقال في ابن السائق، وكان على دار الزكاة وقد بنى دارا:

وســـــائـــــقُ الصـــــبيانِ أضحـــى ابنُه يَســـــرقُ مـــــن دارِ الـــــزكاة الـــذهـــبْ

لا تســـــألـــــــوهُ وأســـــالـــــــوا دارَهُ فـــإنَّهـــــا تُخبـــــرُ عـــمَّا نـهـــبْ[٧٠]

سخر الشاعر في البيتين السابقين من متولي الزكاة، ويتهمه بسرقة الأموال المؤتمن عليها، فجاءت محاسبة الشاعر للعمال على ما ظهر عليهم من نعمة جعلته يستدل بهذه الدار التيبناها عامل الزكاة لنفسه على فساد إدارته واستغلال أموال الزكاة.

كما لجأ الشاعر إلى تشخيص الأشياء الجامدة، ويضفي عليها طبائع الإنسان، فيسخر الشاعر من الجمال المصري والخطيب الدولعي، بعد أن أمر المعظم عيسى بسلسلة أبواب المسجد الأموي، ملتمسا تعليلا طريفا لذلك:

لمَّـــــا رأى الـــجـــامـــعُ أَمـــوالَـــــهُ مـــــأكـــولةً مـــــا بيـــــن نُوَّابـــــهِ

جُـــــنَّ فـــــمنْ خـــــوفٍ عـليه غـــدا مُـــسلســـــلًا مـــن كـــل أبـــوابـــهِ

وكيـــف لا تَـــعتـــادُهُ جـــنَّـــــةٌ وقـــــد رأى الـــمَـــسـخ لأربـــابـهِ

القـــــردُ فـــي شـــبّاكهِ حـــاكـــــمٌ والتيـــــسُ فـــي قـــبَّـــةِ مـحرابه[٧١]

لقد شحن الشاعر الأبيات السابقة بالسخرية اللاذعة من سرقة أموال الجامع مما أثارت غضب الشاعر، وجعلته يسخر من القائمين على أمره مصورا لأحدهم بصورة قرد والأخر بصورة تيس، رغبة في التقليل من شأنهم ومنزلتهم

ويتأمل ابن عنين في الأحداث اليومية، ويستخرج منها معاني هزلية تقوم على المتناقضات في بعض الأحكام الاجتماعية، والمفارقات المضحكة في السلوك،حيث يصور انحلال أخلاق الناس وعاداتهم الخبيثة في بعض البلدان التي نزلها، فكان في بغداد رجل يسمى عمرو يتردد على

امرأته رجل يسمى غياث زاعما أنه أخوها ، فوجدهما يوما على حال لاتكون بين الأخوين، فمنعه من دخول داره ،وتحاكما فلم يُمنع غياث من زيارة أخته، فقال في ذلك :

غيـــــاثٌ فاســـمعوا قـــولي وعـــمرٌو لـــــهـــم عنـــــدي أحـــاديثٌ ظريفـــةْ

فـــــزانٍ مـــا عليـــــهِ مِـن جُـــنـاحٍ وقـــــوَّادٌ بتـــــوقيـعِ الخـــليفَـــــةْ(٧٢)

سخر الشاعر في البيتين السابقين من هذا السلوك المشين، ومنحه لقب قواد قام بالتوقيع عليه الخليفة.

وقد استخدم ابن عنين الدمشقي التورية في مجالات متعددة، مازجا بين شخصيات متباينة، ومواقف متضاربة في سياق واحد، حيث تفشت في عصره ظاهرة التغزل بالغلمان، فقال في سخريته من موفق الدين بن مطران، وهو يصحب غلاما اسمه عمر وكان متهما في أخلاقه وسلوكه:

قـــــالـــوا المـــــوفـــقُ شيعيٌّ فقلتُ لهـم هـــــذا خـــــلافُ الـــذي للنـــــاسِ منهُ ظهرْ

وكيـــــفَ يصبـــحُ ديـــنُ الرفـــضِ مذهَبهُ ومـــــا دعـــــاهُ إِلـــى الإِســـلامِ غيرُ عُمرْ(٧٣)

استخدم الشاعر في البيتين السابقين كلمة ذات دلالة مشتركة ، فكلمة " عمر " تخفي وراءها سخرية لاذعة لابن المطران، كما أن كلمة "عمر " يوري بها باسم الخليفة عمر بن الخطاب ، ووردت في البيت في خادم المسخور منه وكان يسمى "عمر" ، وكان مغرما به يجعله يسير أمامه متغزلا فيه .

وقال يسخر من الصفي بن القابض في حبه لخادم:

أَبـــلـــغْ رســـالـــتيَ الصفيَّ وقـلْ لهُ كيـــــفَ استـــحـالَ صفـــــاؤُهُ وتـكدَّرا

يـــــا مُـــــعرضًـــا مـــــا وُدُّهُ وصفاؤُهُ لِـــوليّه مـــمَّـا يُـــباعُ ويُـــشترى

كيـــفَ اشتـــغلتَ بخـــادمٍ عـــن خادمٍ مـــا جـــرَّ جُـــرمًا فـــي هواكَ ولا افترى(٧٤)

ويعرّض برجل بات عنده ولم يقره، قائلا:

ودارِ كـريمٍ بـــتُّ فـــيها علـــى الطَـوى خميـــص الحَشـــا أشكـو المجاعةَ والقُرا

فلمـــا بـــدا ضـــوء الصباحِ لناظِـــري خـــرجتُ وقـــد أوســـعتُ صـاحبَهـا شَكْـرا (٧٥)

فإننا نلحظ روح الفكاهة والهزل الذي يعترض بين التلميح والتصريح، حيث إن الشاعر عرّض في الأبيات السابقة بصاحبه الكريم الذي بات عنده جوعانا، ولم يكرمه، فحينما ظهر نور الصباح خرج مسرعا من عند صاحبه.

وقال في محاسن بن كامل ناظر الأيتام بدمشق:

يـــا مـعـــشرَ النـــاسِ حـــالي بينكم عَجَبٌ وليـــس لـــي بيـــنكم يـــا قـــومُ أَنـــصارُ

هـــذا ابـــنُ كـامـل قـــد أَودعتُـــهُ ذَهبًـــا صُيَّـــابـةً مـــا لهـــا فـي العينِ مقـــدارُ

وجئـــتُ أَطلبُهـــا منـــهُ وقـد عرضـــتْ في الســـوق منـــي لُبانـــات وأَوطـــارُ

فقـامَ يـنفـضُ كمْـيـهِ ويـنظرُ فـــي صـــندوقـهِ ويُنـــادي جَـــرَّها الفـــارُ(٧٦)

اتهم الشاعر في الأبيات السابقة ناظر الأيتام في أمانته ونزاهته، مما جعله يوجه إليه نقد لاذع للخلل الموجود في مجتمعه.

كما يسخر من ظاهرة البخل في المجتمع، فهناك رجل يعمل لأصدقائه دعوة كل عام ثم يتبرم، وقد دعى ابن عنين وأصحابه، قائلا:

أَحبابَـــنا مـــا لـــهذا الهجرِ مِـــنْ أَمَدِ وحقّكـــم عـــزَّ صبـــري وانتهى جَلَـدي

أبيضـــــةُ الـــديكِ حـــظـــي مـــن وصـــالكُم لا تفعلـــوا واجـــعلوهـــا دعـــوةَ الأبـــدِ

فللـــعواذل منـــى حـــظُّ شيعـــتِـــهِ يـــومَ الـــولـــيمةِ لا يُـــلوي علـــى أحدِ

عهـــدي بـــه والـــيدُ اليُمنـــىَ يَكفُّ بها غَـــرْبَ المـــدامعِ والأخـــرى علـى الكبدِ(٧٧)

وقال عن ضيقه بالواقع الثقافي ، وما فيه من خصومات مذهبية :

مصـــحفُ عثـــمانَ صـــاحَ مـــنِ حَنَقٍ رافـــعُ قـــدري مـــا بـــالُهُ خَفَضَـــهْ

الـــزنكلونيُّ صـــار يَـــخـــدمُنـــي ياربّ عجّـــلْ بـــالفـــأر والأرَضَـــهْ

والله مـــابي انحـــطـاطُ مـــنـزلتـــي وإنمـــا بـــي شـــماتةُ الـــرَّفَضَـــهْ(٧٨)

أخذ الشاعر في الأبيات السابقة يعرّض، قائلا: إن مصحف عثمان اشتد غيظا من شدة ما يحدث من خلافات مذهبية أدت إلى انقسام ظهر الأمة الإسلامية.

-أسلوب ابن عنين الدمشقي في شعره الساخر

لقد استخدم ابن عنين في شعره الساخر أساليب متنوعة، تتنوع تبعا لتنوع الموضوعات، ولعل من أبرزها:

-السخرية

تعدُ السخرية سلاحا شائعا عند كبار المؤلفين، ويستمد الخطباء منها "النبرات المؤثرة، وكذلك تتخذ البلاغة منها سلاحا أشد فكها لايمكن إغفاله أو الاستهانة به "(٧٩)

كما تعتبر السخرية من الأشياء المعنوية "فهى ليست شيئا ماديا محسوسا يمكن لكل إنسان أن يدركه، وأن يحد مقداره وحجمه"(٨٠)

أما شاعرنا فقد عاش في العصر الأيوبي، ونظم في هذا الغرض المؤثر، فاستخدم السخرية في شعره، ليتخلص بها من آلام الذات التي تسبب النفي فيها، حيث إن الشاعر اجتمعا في نفسه

جانبا الحزن والسخرية ، ولم يكن ابن عنين كعادة الشعراء يبرز ما يغضبهم حينما لا يكونوا قادرين على مواجهة الساسة ورجال الدولة، فيقول محمد الحوفي: "إن الشعراء يلجأون إلى استخدام الأسلوب الساخر نتيجة لعوامل متعددة لعل أهمها الخوف من السلطة الحاكمة "[٨١]

وقد سخر ابن عنين من رأس الدولة "صلاح الدين "حينما نفاه إلى خارج دمشق ، قائلا :

قـــد أصـــبحَ الـــرزقُ ما لَه سبَبُ فـــي النـــاسِ إلاَّ البِغـــاءُ والكَـــذِبُ

"سلطـــاننا أعـــرجٌ وكـــاتبُـهُ " ذو عمَـــشٍ والـــوزيـرُمُـــنحـــدِبُ

وصـــاحبُ الأمـــرِ خلـــقُهُ شَـــرِسٌ وعـــارضُ الجيـــشِ داؤهُ عَـــجَـــبُ

يبِـــيـــتُ مِـــنْ حِـــكَّـةٍ تُؤرّقُـهُ فـــي دبـرِه كـــالسَّعيـــرِ تَـــلتَـهِبُ

وحـــاكمُ المسلمينَ لـــيسَ لـــهُ فـــي غيـــر غُـــرمـــولِ أسـودٍ أَربُ[٨٢]

وبعد وفاة صلاح الدين سخرمن أبنائه الذين احتدم الصراع بينهم على السلطة، فيقول:

كُـــنانـــرجـــى بعـدعيسـى محمـداً لينقـــذنـــامـــن لاعـــج الضـــرو البـــلوى

فـــأوقـــعنا فـــيتيـــه مؤسف كلنا حيـــارى ولا مـــن لـــديـــه ولا سلـــوى "[٨٣]

ويستغل الشاعر أسماء الذين سخر منهم ، مستخدما صيغا شعرية ساخرة تبدو فيها أفعال هؤلاء وصفاتهم مناقضة لدلالات أسمائهم كما في قوله :

ابنـــا الحـــرستـــانيّ فـــي لقبيهِما ضِـــدُّ الـذي نُـعِتـابـــه بيـــن المَـــلا

فَمُهَـــتَّـــك الأســـتارِ يُـــدعى صـــــائِنًا والسِفْلـــةُ السَّفْـــلاء يُـــدعى بـــالعَـــــلا(٨٤)

كما يرسم الشاعر مشاهد متكاملة يتلاعب فيها بالذين سخر منهم فألتقط صورة خاطفة للقاضي الفاضل يظهر فيها وقد تبوأ مجلسه، وهو يكثر من الحركات مثل جرذ يطل برأسه من جحره، قائلا:

والعِـــزُّعـــبدُ الـــرحيـــمِ سيـــــدُنا مُطَيْلَـــــسٌ للـــقـــضـــاءِ بـــالشـــــربِ

يَـــظـــنُّ رائـــيهِ أَنَّـــــهُ جُـرَذٌ مُطَلّـــعٌ رأسَـــــهُ مِـــــن الثَـــقـــــبِ

وخُطبـــــــةُ الـــــدَوْلَعِي كـــمْ جلبتْ للنـــاسِ مِـــــن فـــادِحٍ ومِـــن خَـــطْبِ (٨٥)

– الطابع القصصي:

استطاع ابن عنين أن يدخل السخرية في إطار قصصي، ونعني بالقصة الشعرية استخدام الشاعر الغنائي علي الفطرة والسليقة بعض أدوات التعبير التي يستعيدها من فن آخر هو فن القصص بوصفها وسيلة تعبيرية (درامية) تؤدي في القصيدة القصد البلاغي نفسه الذي كان التمثيل يؤديه في الشعر القديم "(٨٦)

فيقول ساخرا من عفيف الدين علي بن عدلان وكان ينبز بالجرذان:

شـــاورتُ بعـــضَ أخـــلَّائي وقلتُ لهُ أُريـــــد أُودعُ كُتبـــي نجـــلَ عـــــدلانِ

فقـــالَ ذلـــك جُـــــرذانٌ ومـــصلحةٌ أنْ لا يُـحَطَّ كـــتابٌ عنـــد جُـــــرذانِ (٧٨)

سخر الشاعر في الأبيات السابقة من ابن عدلان، محذرا من إيداع الكتب لديه خوفا عليها من أكل هذا الفأر وقرضه لها، فتلاعب الشاعر باسمه، فجاءت كلمة قبيحة على وزن اسمه "جرذان

"فصاغ ابن عنين سخريته في شكل قصة مستخدما بعض عناصر القصة في شعره مثل: سرد الأحداث والشخصيات، حيث إنه استطاع تشكيل صورة تدل على مقدرته على إضفاء طابع قصصى.

ووصل الأمر بالشاعر أنه سخر من نفسه مع الآخرين، قائلا:

مَثَـــلي وقـــد وافـــيَتُ أطلبُ رِفـــدَكم جـــهلًا ولـــم يـــكُ لـــي حـــجىً ينهاني

مَثَـــلُ الظَـــليمِ مَـــضى يـــرومُ بجهلهِ قـــرنًا فـــعـــادَ مُـــصَـــلَّـــمَ الآذانِ

وكَّلـــت بـــي صعـــبَ المِراسِ ملازِمًا كـــالظـــلِ يَـــتبعني بكـــلِ مـــكـــانِ

لـــم أَعْـــشُ عـــن ذكرِ الإلهِ فليتني أدري عَـــلامَ قُـــرنتُ بـــالشيطـــانِ (٨٨)

فقد استطاع الشاعر أن يوظف الطابع القصصي في الأبيات السابقة، كما أنه نجح في خلق حركة داخلية بأسلوب سلس، وألفاظ بسيطة.

ويقول ساخرا من ناظر أموال اليتامى:

يـــا مـــعشرَ الناسِ حالي بينكم عَجَبٌ ولـــيس لـــي بينكم يـــا قومُ أَنصارُ

هـــذا ابـــنُ كـــامل قـــد أَودعتُهُ ذَهبًا صُيَّابـةً مـــا لهـــا فـــي العيـــنِ مقدارُ

وجئـــتُ أَطلبُـــها مـــنهُ وقـد عرضـتْ فـــي الســـوق منـــي لُبانـــات وأَوطارُ(٨٩)

فقد اتهم ناظر أموال اليتامى في دمشق بسرقة الأموال، حيث تم إيداع مالا لديه ثم جاء يطلبه فأبى رده، مستخدما الطابع القصصي من شخصيات وسرد للأحداث، وحوار، وترتيب مشاهد، وهذا يدل على حساسية فنية مرهفة لدى ابن عنين الدمشقي.

وأنشأ الشاعر صورة حوارية مباشرة بينه وبين الآخر، مستخدما (قال وقلت)، كما في قوله:

قيـــــلَإِنَّمـــــدلـويهِ بـــــنَ بـدرٍ قتـــلـوهُ بالصـــــــفعِ أشنـــعَ قـــتـــلِ

قلـــــــتُ عظَّـــــمتمُ القضـيَّةَ في دلـ (م) ـوٍخـــليعٍ قـــــد رقَّعـــوهُ بـــنعـــــلِ (٩٠)

فقد جعل الشاعر في الأبيات السابقة جوا تفاعليا بينه وبين المتلقي، فأضفى جوا من الحيوية.

الخاتمة

لقد عرضنا من خلال الدراسة لمن سخر منهم ابن عنين، وبإعادة القراءة يتضح لنا أن الرجل كان جرئيا، صريحا، وقد يصفه بعض المحافظين بالوقاحة، حيث إنه يتفنن فيمن يسخر منهم ويتهكم بهم ويرميهم بالفواحش.

كما يتضح لنا شموله لشخصيات متعددة يلوذ معظمها بمكانة اجتماعية رفيعة، تناقض المنظومة الخلقية المتعارف عليها في عصره، مما يشف عن شخصية رافضة لبعض الممارسات السلوكية، وتصوير جوانب من الحياة اليومية.

وتوصل الباحث بعد الانتهاء من دراسته إلي:

- السخرية تجمع الألم بجانب الاستهزاء والضحك للإنسان الذي يُسخر منه.

-السخرية بمنزلة سهام توجه للإنسان الذي يُسخر منه، وهو سلاح أثبت فاعليته.

-كانت السخرية عند ابن عنين وليدة الأزمة وما يسود الواقع.

-كانت شخصية ابن عنين شخصية رافضة لبعض الممارسات السلوكية المنحرفة .

-كانت أشعاره مستوحاة من الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه، فاستغل الحوادث اليومية وقام بتحويلها إلى مواقف ساخرة قائمة على تصوير المفارقات المضحكة في السلوك.

-كان ابن عنين شديد الإحساس ببيئته ولاسيما الجوانب السلبية.

-كانت السخرية الانتقادية عند ابن عنين أكثر وضوحا في شعره، حيث إنه سخر من علية القوم حتى وصل به الأمر إلى أنه سخر من رأس الدولة ووزيره وكاتبه وغيرهم من كبار حاشيته ورجال الدين والسياسة ليفصح عن مفاسدهم.

- لم تكن السخرية عنده مقصورة على علية القوم بل ضج عامة الناس من لسانه وبهتانه ، ورفعوا شكواهم إلى صلاح الدين، فأمر بنفيه.

-السخرية عند ابن عنين الدمشقي كانت معبرة عن حالة رفض تام واستنكار.

-اعتمد ابن عنين في شعره الساخر على الطابع القصصي في بعض الأحيان لإيصال غرضه من السخرية.

-لجأ ابن عنين في بعض أشعاره إلى الاقتباس من القرآن الكريم ليؤكد ثقافته الإسلامية وإقامة الحجة والدليل، وبيان دور المؤثرات الثقافية في تكوين ثقافته، وتشكيل صورته الفنية.

الهوامش

(١) ديوان ابن عنين – تحقيق خليل مردم بك – ط(٢)– دار صادر – بيروت –سنة ١٩٥٩م /مقدمة المحقق.

(٢) السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري – نعمان محمد أمين طه – ط(١)–دار التوفيقية للطباعة – القاهرة – سنة ١٩٧٨م /ص١٧.

(٣)وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان –لابن خلكان –تحقيق إحسان عباس – دار صادر – بيروت –سنة ١٩٧٧/٥:٦٨٤ والبدايةوالنهاية –ابن كثير – مكتبة المعارف – بيروت – ط٧)–ستة ١٩٨٨م /١٣:١٣٧–١٣٨والأعلام –خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ط(١٥)– سنة ٢٠٠٢/7:١٢٥–١٢٦ومعجم الشعراء العباسيين – عفيف عبد الرحمن – ط(١)–سنة ٢٠٠٠م – لبنان / ص٥٠٥.ومعجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – مؤسسة رسالة –ط(١)–سنة ١٩٩٣م/ ٣:٥٥١.

(٤)تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات "الشام "–شوقي ضيف – دار المعارف –ط(٢)–سنة ١٩٩٠م /صـ٢٣٤.

(٥)الوزير ابن عنين الدمشقي –عاشق الفيحاء وطريدها –أحمد المشرف –مجلة كلية الآداب – جامعة صنعاء –اليمن –العدد (٢٨)–سنة ٢٠٠٥م /ص٣٦.

(٦)وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – ابن خلكان / ٥:١٨

(٧) تاريخ الأدب العربي –عصر الدول والإمارات "الشام "– شوقي ضيف /صـ٢٣٤–٢٣٥

(٨)الغربة والحنين في شعر ابن عنين – حسن بن علي قرعاوي – مجلة التوباد– السعودية – المجلد (٢)–العدد(١–٢)–مارس سنة ١٩٨٩م /ص٦١.

(٩)ابن عنين – شاعر القرن السابع –محمد كرد علي – مجلة المجمع العلمي العربي – سوريا –المجلد (١٦)–الجزء (٣–٤)–سنة ١٩٤١م / ص٩٩.

(١٠) ديوانه /مقدمة المحقق

(١١) السابق / مقدمة المحقق.

(١٢)ديوانه /مقدمة المحقق

(١٣) ينظر : الأعلام –خير الدين الزركلي /١٢٦:٧.

(١٤)الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام – أحمد أحمد بدوي / ص٢٢٦.

(١٥)شعر ابن عنين " دراسة موضوعية وفنية "– ميسر سليم الشورة –رسالة ماجستير – جامعة مؤتة – الأردن –سنة ٢٠٠٤م /ص١٥.

(١٦) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب –جمال الدين محمد بن سالم بن واصل –تحقيق / حسنين محمد ربيع – (د.ت)/٤١:٥.

(١٧)ديوانه / مقدمة المحقق.

(١٨)وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان –ابن خلكان / ١٧:٥

(١٩)ينظر : نسخة تاسعة من ديوان ابن عنين " –عبدالعزيز الميمني–مجلة المجمع العلمي بدمشق – المجلد (٣٤)–الجزء الأول عام ١٩٥٩م . والجلد (٣٥)– الجزء الأول –سنة ١٩٦٠م.

(٢٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون –حاجي خليفة –مكتبة المثنى – بغداد (د.ت)/ ٢٩٨:١

(٢٠) النشاط العلمي والأدبي في عهد الأسرة الأيوبية–ناظم رشيد – المجلد (٨)–سنة ١٩٧٧– آداب الرافدين – العراق/ص٤٤٥

(٢٢) الاغتراب في شعر ابن عنين –حصة بنت أحمد بن عبد الله الحسن الدوسري – رسالة ماجستير – كلية الآداب للبنات بالدمام – السعودية –سنة ٢٠٠٣م /ص٣٥.

(٢٣) النشاط العلمي والأدبي في عهد الأسرةالأيوبية–ناظم رشيد /ص٤٥٣

(٢٤)أثر الصلات العلمية بين الدولة الأيوبية والخلافة العباسية في ازدهار الحياة الثقافية في المجتمع الإسلامي – آمنة بنت حسين محمد علي – المجلد (١٤)– سنة ٢٠١٢م – الدرعية – السعودية/ص٢٧٣.

(٢٥)الأدب في العصر الأيوبي – محمد زغلول سلام –منشأة المعارف – الإسكندرية – سنة ١٩٩٠م / ص٣١٣.

(٢٦) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين – محمد كامل حسين – مؤسسة هنداوي سي آيسي– سنة ١٩٥٧ /صـ١٧٩.

(٢٧)جهود علماء مصر والشام في اصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية (٤٩١–٦٩٢هـ=١٠٩٧–١٢٩٢م)– عبدالفتاح عبدالله عاشور –سنة ٢٠١٠/صـ١٥٤.

(٢٨)تاريخ الأدب العربي –عصر الدول والإمارات " الشام "– شوقي ضيف /٦٥.

(٢٩) النشاط العلمي والأدبي في عهد الأسرة الأيوبية /صـ٤٥١.

(٣٠) السابق /صـ٤٥٤.

(٣١) الحركة الشعرية في بلاط الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن عبد العزيز (٦٣٤–٦٥٨هـ)– فادي عبد الرحيم محمود –سنة ٢٠١٠/صـ٢٩–٣٠.

(٣٢) السابق /صـ٤٠.

(٣٣)القصيدة المدحية في شعر ابن عنين ٥٤٩–٦٣٠هـ"دراسة موضوعية فنية "– أحمد سامي زكي منصور – مجلة كلية التربية – جامعة طنطا –مصر –سنة ٢٠٠٨م/ص٦٧.

(٣٤) انظر : التصوير الساخر في القرآن الكريم – عبد الحليم حفني –الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة ١٩٩٢م /صـ١١

(٣٥) ثقافة الناقد الأدبي –محمد النويهي–مكتبة الخانجي– القاهرة – ط(٢)–سنة ١٩٦٩م /ص ٣٣٢.

(٣٦) حصاد الهشيم – إبراهيم عبد القادر المازني –الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – سنة ١٩٢٤م/ صـ ٣٠٩.

(٣٧) السخرية في قصص فخري قعوار – عبير اسماعيل زارع – سنة ٢٠١٦م/صـ٢٦

(٣٨) انظر : االفكاهة والضحك "رؤية جديدة " –شاكر عبد الحميد – عالم المعرفة – مطابع السياسة – الكويت –سنة ٢٠٠٣/صـ٢٠٨.

(٣٩)الفكاهة والضحك " رؤية جديدة "–شاكر عبد الحميد /صـ٤١٥.

(٤٠) البيان والتبيين – الجاحظ – تحقيق وشرح /عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي–القاهرة – ط(٧)–سنة ١٩٩٥/–٢:١٤٥–١٤٦

(٤١)ديوانه /صـ٢١–٢٢

(٤٢)السابق /صـ٥–٦.

(٤٣) السابق /ص٢١٠–٢١١.

(٤٤) ديوانه/ص٢٣٥

(٤٥)السابق /ص ١٩٧.

(٤٦) السابق /ص ١٣١

(٤٧)ينظر : ابن عنين حياته وإبداعه الشعري –أسماء أبو بكر محمد –دار الكتب العلمية –بيروت–سنة ١٩٩٢م /ص٩٩.

(٤٨) ديوانه /ص ١٩٧– ١٩٨.

(٤٩)ديوان جميل بثينة دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت –سنة ١٩٨٢م /ص٨٦.

(٥٠) دراسات اجتماعية في الأدب الأيوبي والمملوكي –شفيق عبد الرحمن –ط دار يافا العلمية – عمان –ط(١)–سنة ٢٠٠٩م/ص١٥٠–١٥١.

(٥١)ديوانه /ص٢٣١.

(٥٢) ديوانه /ص ١٨٨

(٥٣) السابق /ص ١٨٦

(٥٤) السابق /ص ٢٢٣.

(٥٥)السابق /ص ١٩٨–١٩٩

(٥٦) سورة هود /آية ١٠٠.

(٥٧)ديوانه /ص ٢٢٠–٢٢١.

(٥٨)ديوانه/ص ١٣٣

(٥٩) السابق /ص ١٣٢

(٦٠)السابق /ص ١٧٩–١٨٠

(٦١) السابق /ص٢٢٠–٢٢١.

(٦٢)السابق/ص ١٣٢

(٦٣)سورة المائدة /آية ٢٦.

(٦٤) ديوانه/ص٢٠٥

(٦٥)السابق /ص ١٤٧–١٤٨

(٦٦) ديوانه /ص ٢٠٣–٢٠٤

(٦٧)أسلوب السخرية في القرآن الكريم – عبدالحليم حفني –الهيئة المصرية العامة للكتاب –سنة ١٩٩٧م /ص١٧.

(٦٨)ديوانه /ص١٣٨.

(٦٩)ديوانه/ص٢٣٥

(٧٠)السابق/ص ٢٣٧.

(٧١) السابق /ص ١٤٣.

(٧٢) ديوانه/ص ١٤٤

(٧٣) السابق /ص١٣٣–١٣٤

(٧٤) السابق/ص٢٠٦

(٧٥) السابق /ص٢٢٤ .

(٧٦) ديوانه /ص ١٣٨.

(٧٧) السابق /ص١٤٦.

(٧٨)السابق /ص ٢٢٩ .

(٧٩)السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري –نعمان محمد أمين طه /ص١٤.

(٨٠)أسلوب السخرية في القرآن الكريم –عبدالحليم حفني /ص٨.

(٨١)الفكاهة في الأدب العربي وبعض دلالاتها – أحمد محمد الحوفي– طبعة أم درمان الإسلامية –سنة ١٩٦٧م /ص١٥

(٨٢)ديوانه /ص٢١٠–٢١١.

(٨٣)السابق /ص١٣٣.

(٨٤) ديوانه /ص١٨٥.

(٨٥) السابق /ص١٨٢.

(٨٦)الشعر العربي المعاصر – عز الدين إسماعيل –دار العودة – بيروت – سنة ١٩٨١م /ص٣٠٠.

(٨٧)ديوان ابن عنين /ص٢٣٨ .

(٨٨) ديوانه/ص١٤٠ .

(٨٩) السابق /ص١٣٨.

(٩٠)السابق /ص١٨٧.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

- -الأدب العربي في العصر الأيوبي – محمد زغلول سلام – منشأة المعارف – الاسكندرية – سنة١٩٩٠م.

-أسلوب السخرية في القرآن الكريم –عبد الحليم حفني –الهيئة المصرية العامة للكتاب –سنة ١٩٩٧م.

- الأعلام – خير الدين الزركلي –دار العلم للملايين –بيروت – ط(١٥)- سنة ٢٠٠٢م .

- الاغتراب في شعر ابن عنين –حصة بنت أحمد بن عبد الله الحسن الدوسري – رسالة ماجستير –كلية الآداب للبنات بالدمام – السعودية –سنة ٢٠٠٣م .

-البداية والنهاية –ابن كثير –مكتبة المعارف –بيروت – ط(٧)-سنة ١٩٨٨م.

-البيان والتبيين – الجاحظ –تحقيق وشرح عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي–القاهرة – ط(٧)-سنة ١٩٩٠م.

-تاريخ الأدب العربي –عصر الدول والإمارات " الشام "- شوقي ضيف –ط(٢)-دار المعارف – مصر –سنة ١٩٩٠م

-التصوير الساخرفي القرآن الكريم –عبد الحليم حفني –الهيئة المصرية العامة للكتاب –سنة ١٩٩٢م.

-ثقافة الناقد الأدبي –محمد النويهي–مكتبة الخانجي– القاهرة – ط(٢)-سنة ١٩٦٩م .

-جهود علماء مصر والشام في إصلاح المجتمع في زمن الحروب الصليبية (٤٩١-٦٩٢)- عبدالفتاح عبد الله عاشور –سنة ٢٠١٠م

-حصاد الهشيم -إبراهيم عبد القادر المازني –الهيئة المصرية –القاهرة –سنة ١٩٢٤م.

-دراسات اجتماعية في الأدب الأيوبي والمملوكي – شفيق عبد الرحمن –دار يافا العلمية –عمان (١)-سنة ٢٠٠٩م.

-دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين –محمد كامل حسين – مؤسسة هنداوي – سنة ١٩٥٧م

-السخرية في الأدب العربي حتى القرن الرابع الهجري – نعمان محمد أمين طه-ط(١)-دار التوفيقية للطباعة –القاهرة –سنة ١٩٧٨م .

-السخرية في قصصفخري قعوار –عبير إسماعيل زارع –سنة ٢٠١٦م .

-شعر ابن عنين " دراسة موضوعية وفنية "-ميسر سليم الشورة –رسالة ماجستير – جامعة مؤتة – الأردن – سنة ٢٠٠٤م .

-الشعر العربي المعاصر – عز الدين إسماعيل –دار العودة – بيروت –سنة ١٩٨١م .

-ابن عنين حياته وإبداعه الشعري – أسماء أبو بكر محمد –دار الكتب العلمية –بيروت – سنة ١٩٩٢.

- الفكاهة في الأدب العربي وبعض دلالاتها-أحمد محمد الحوفي–ط أم درمان الإسلامية –سنة ١٩٦٧م.

-الفكاهة والضحك "رؤية جديدة "-شاكر عبد الحميد –عالم المعرفة-مطابع السياسة –الكويت –سنة ٢٠٠٣م .

-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون –حاجي خليفة – مكتبة المثنى – بغداد – (د.ت).

-معجم الشعراء العباسيين –عفيف عبدالرحمن – ط(١)-سنة ٢٠٠٠م.

- معجم المؤلفين –عمر رضا كحالة – مؤسسة رسالة –ط(١)- سنة ١٩٩٣م .

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب – جمال الدين محمد بن سالم بن واصل – تحقيق حسانين محمد ربيع –(د.ت).

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – ابن خلكان –تحقيق / إحسان عباس –دار صادر – بيروت –سنة ١٩٧٧م.

الدوريـــــــــــات

-أثر الصلات بين الدولة الأيوبية والخلافة العباسية في ازدهار الحياة الثقافية في المجتمع الإسلامي – آمنة بنت حسين محمد علي – المجلد (١٤)- الدرعية – السعودية –سنة ٢٠١٢م.

-ابن عنين شاعر القرن السابع – محمد كرد علي –مجلة المجمع العلمي العربي – سوريا –المجلد (١٦)- الجزء (٣-٤)-سنة ١٩٤١م .

-الغربة والحنين في شعر ابن عنين – حسن بن علي قرعاوي –مجلة التوباد– السعودية –المجلد (٢)-العدد(١-٢)-سنة ١٩٨٩م .

-القصيدة المدحية في شعر ابن عنين ٥٤٩-٦٣٠هـ" دراسة موضوعية فنية "-أحمد سامي زكي –مجلة كلية التربية –جامعة طنطا – سنة ٢٠٠٨م .

-نسخة تاسعة من ديوان ابن عنين – عبد العزيز الميمني–مجلة المجمع العلمي بدمشق –المجلد (٣٤-٣٥)- الجزء الأول – سنة ١٩٥٩م.

-النشاط العلمي والأدبي في عهد الأسرة الأيوبية– ناظم رشيد – المجلد (٨)- آداب الرافدين – العراق – سنة ١٩٧٧م .

-الوزير ابن عنين " عاشق الفيحاء وطريدها "- أحمد المشرف – مجلة كلية الآداب – جامعة صنعاء –اليمن – العدد(٢٨)- سنة ٢٠٠٥م.

الدواويـــــــن الشعـــــريـــــة

ديوان جميل بثينة، دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت –سنة ١٩٨٢م.

ديوان ابن عنين –تحقيق / خليل مردم بك –ط(٢)- دار صادر – بيروت – سنة ١٩٥٩م